الأهرام

المصدر: الاخبار

التاريخ: ٥ أكتوبر ١٩٩٥

اتفاق طابا .. الممر الضيق الى القدس

بقلم الدكتور

رفعت لقوشة

اتفاق طابا الاخير يقود الجميع وبملابسات الحركة إلى الممر الضيق لقضية القدس ، فإذا كانت مدينة الخليل ومن اجل ٤٠٠ مستوطن لا يمثلون إلا حوالى ٣. ٪ من مجموع سكانها ، قد تم ترحيل ملفها إلى المفاوضات النهائية ، فإلى اى مدى زمنى .. سوف يتم ترحيل ملف القدس ؟!

ولا نريد - بادىء ذى بدء - ان نبخس المفاوض الفلسطينى حقه ، فلقد ناور بين ضلعى زاوية حرجة .. فهناك المعطيات الاقليمية والدولية غير المواتية من ناحية ، وهناك الطرف الذى يحتل الأرض ويطالب بفواتير استحقاقات القوة من ناحية اخرى .

وبمعنى اخر .. فإن التنازلات التى قدمها المفاوض الفلسطينى لم يقتضها فقط تكتيك اليات التفاوض ولكن اقتضتها - ايضا - حسابات موازين القوى التى تنحاز إلى الجانب الاسرائيلى فى مواجهة عالم عربى مازال منهكا بدوار الاعياء ، وبالتالى لا مجال للمزايدة على المفاوض الفلسطينى ، ولكن يبقى السؤال : ما هى التنازلات المطلوبة فى القدس ؟!

● ● ●

الكل يعلم انه لا سلام بدون القدس ، لاعتبارات دينية لن تسلم طواعية فى الارث الروحى ومقدساته .. اسلاميا ومسيحيا ، ولاعتبارات سياسية سوف تتمثل القدس كمحك اختبار بين مقولتى « سلام الهزيمة » و « سلام رد الاعتبار » فأى تفريط فى القدس هو فى النهاية اقرار بسلام الهزيمة ، وايضا لاعتبارات جيبوليتيكية حاكمة باملاءات المقتضى الامنى ، فالقدس الموحدة كعاصمة لاسرائيل سوف تفرض بالضرورة خلق حزام أمنى حولها ، فلن تقبل اسرائيل بوجود عاصمتها عند نقطة تماس حدودى مع الكيان الفلسطينى ، وسوف تتعدد الوان الطيف فى الحزام الامنى .. بدءا من اللون الاخضر الذى يكسو القرى الفلسطينية التى تطالب اسرائيل الفلسطينيين بالتنازل عنها ، وحتى اللون الاحمر الذى يحمل « الفيتو » الاسرائيلى على مشروع الدولة الفلسطينية ، وبتعبير أكثر دقة .. فإن أى تنازل فى القدس هو بمثابة اجهاض مبكر لفكرة الدولة الفلسطينية .

● ● ●

لذلك كله .. فإن الترتيبات الاسرائيلية قد عمدت وبالتواء هندسى إلى تعريج الخط الفاصل بين القدس الشرقية والقدس الغربية لتصادر وبالامر الواقع اى احتمال للعودة إلى خط التقسيم السابق لعام ١٩٦٧ ، فلقد تدفقت الهجرة اليهودية إلى القدس الشرقية ليرجح - ولأول مرة - الثقل الديموجرافى اليهودى (حوالى ٥١ ٪ من مجموع السكان فى القدس الشرقية) ، وتم استقطاع اراض من المدينة لبناء احياء سكنية لليهود ، وعمدت الترتيبات الاسرائيلية فى نفس الوقت إلى تحويل مدينة القدس بشطريها إلى بلدية تحت مسمى القدس الكبرى والتى الحق بها اداريا مدن اخرى ، لتختفى بذلك مدينة القدس من قاموس الخطاب الادارى .. ولا تبقى الا بلدية القدس موضوعا للتداول ، ولم تتخلف الآلة التشريعية الاسرائيلية عن مواكبة كل هذه الترتيبات ، ففى يوليو ١٩٨٠ اصدر الكنيست قراره باعلان القدس .. عاصمة موحدة لاسرائيل ، ثم عاد فى ١٠ مايو و ٢٧ ديسمبر ١٩٩٤ ليدعم قراره .. بقرارين مكملين .

● ● ●

ولأن عجلة المفاوضات قد دارت ، فالجميع ينتظرهم فى مايو ١٩٩٦ ، بطاقة دعوة إلى جولة جديدة يتصدر جدول أعمالها ملف القدس ، والدعوة قابلة للتأجيل وفقا لبراعة الاداء الاسرائيلى فى مماطلة التسويف ، ولكنها ليست قابلة للالغاء .. فلا أحد يرغب فى القفز من القطار ، وفى اغلب الظن .. فإن اسرائيل سوف تستثمر ترتيباتها فى القدس لتناور بها - وفى الجولة الجديدة - على المحاور التالية :

١ - طرح مشروع لجنة بيل البريطانية كافتتاحية انشائية لمساجلة التفاوض ، ولقد صاغت هذه اللجنة مشروعها فى عام ١٩٤٧ ، واقترحت من خلاله استبقاء مدينة القدس تحت الادارة الدولية .

٢ - ولأنه لا يوجد حاليا - وبمعطيات

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الامر الواقع - معالم ادارية لمدينة القدس ، فلقد تم تحويلها إلى بلدية ، فإن المدينة يمكن تمثيلها اختزالا فى الاماكن المقدسة ، والتى تصبح - بالتالى - موضوع التدويل ، فالأردن يشرف على المقدسات الاسلامية والفاتيكان يضطلع بمهمة الاشراف على المقدسات المسيحية الكاثوليكية .. الخ ، مع استبقاء القدس / البلدية كعاصمة لاسرائيل .

٣ - يتم التعامل مع السكان الفلسطينيين فى القدس الشرقية بنفس منطق التعامل مع المستوطنين الاسرائيليين فى الاراضى الفلسطينية فى اطار اتفاقيات امنية متبادلة تستعيد إلى الذاكرة خريطة الموزاييك فى البلقان ، وبمنطق الجدل الاسرائيلى .. فاذا كان هناك مستوطنون اسرائيليون فى الضفة والقطاع يعيشون تحت كنف الادارة الفلسطينية ، فما الذى يحول - وبمضاهاة القياس - من وجود مستوطنين فلسطينيين فى القدس الشرقية يعيشون تحت كنف الادارة الاسرائيلية !!؟

وحول هذه المحاور سوف تناور اسرائيل ولسنوات طويلة دون أن يطاردها إلحاح الزمن ، فلقد تحقق هدفها التكتيكى - وعلى حد تعبير رابين - بالفصل بين الفلسطينيين والاسرائيليين والحفاظ على الهوية الأحادية لدولة اسرائيل ، وفى نفس الوقت فهى تراهن - استراتيجيا - على تأثير الكنيسة المثيودية فى أروقة مراكز القرار داخل الحزب الجمهورى الامريكى ، وهى الكنيسة التى تؤمن بأن اسرائيل هو شعب الله المختار وان صلب المسيح ليس مسئولية اليهود ولكنه مسئولية الحاكم الرومانى ، وان المسيحية فى جوهرها هى رسالة يهودية ، ولن تكتمل الرسالة الا بعودة المسيح .. ولن يعود المسيح الا اذا عاد شعبه الاسرائيلى إلى القدس ، وكان تأثير هذه الكنيسة حاضرا فى قرار الكونجرس بنقل السفارة الامريكية إلى القدس .

● ● ●

وهكذا فنحن نقترب من الممر الضيق ، الذى سوف يأخذنا ويأخذ المنطقة كلها إلى حافة السلام او حافة الحرب ، ولا بديل امام العرب من حشد دولى وراء المفاوض الفلسطينى عند نقطة تقاطع الخيارات .. فلن تقبل اسرائيل بالعودة إلى خط التقسيم .. ولن يقبل الفلسطينيون بالقدس كعاصمة موحدة لاسرائيل وإلا لتنازلوا عن كل شىء فى مقابل لا شىء ، ولكن معادلة الموقف الفلسطينى مشروطة بالمساندة الدولية .. وبدونها وداعا للقدس .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية